بسم الله الرحمن الرحيم

غض البصر

الحمد لله

أيها المسلمون: إن للذنوب والمعاصي آثارا سيئة، وعقوبات في الدنيا والآخرة، قال ابن القيم- رحمه الله- إن المعاصي توهن القلب والبدن، وتسبب محق البركات ، ونقص الخيرات ، في العلم والعمل والمال والأهل، قال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تعلمه للخطيئة يعملها . كما أن الذنوب تورث الذلة على صاحبها، قال سليمان التيمي- رحمه الله : إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته . ومن ذلك أنها تسبب حلول النقم وزوال النعم . والتهاون بالمعاصي موجب لسخط الله تعالى، ولو لم يكن في ترك المعصية إلا حصول العافية، ومحبة الله تعالى، لكان جديرا بالمؤمن والمؤمنة أن يفرح بترك المعاصي .

عباد الله : البصر من أجل نعم الله سبحانه وتعالى على عباده التي أمرهم بحفظها ، وشكره عليها ، والتفكر من خلالها ، في بديع صنع الله في ملكوت السماوات والأرض ، وعجيب خلقه ، وعظيم قدرته ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ . والبصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأقرب طرق الحواس إليه، وما أكثر السقوط من جهته، ولذلك وجب غضه عن جميع المحرمات .

غض البصر مرتبة عظمى ، لا يستطيع تحقيقها ، والوقوف عند حدودها ، إلا من وفقه الله تعالى وسدده ، وثبته على دينه وطاعته . قال ابن مسعود – رضي الله عنه حفظ البصر أشد من حفظ اللسان ، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع .

يأمر الله أتباعه المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...﴾ وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا نتحدث فيها. قال: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه» . قالوا : وما حقه ؟ قال : «غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر».

وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع» وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فأمرني أن أصرف وجهي وقال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»

عباد الله : غض البصر زكاة للقلب ، وطهارة للنفس ، وراحة للبدن ، وصون للفرج ، وتجنب للوقوع في الزلل والمعصية ، يورث حلاوة الإيمان ، وفراسة صادقة ، وثباتاً في النفس ، ونوراً في القلب . قال بعض السلف : (من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته) .

أيها المسلمون: من الأمور التي يتساهل بها بعض الناس ، النظر إلى النساء الأجنبيات ، سواء عن طريق مباشر ، أو عن طريق الصور في المجلات و الجرائد و الأفلام . وكذلك الخلوة بالمردان، وذلك أنه مظنة الفتنة، ولقد بالغ الصالحون ، في الإعراض عن المردان ، وعن النظر إليهم ، وعن مخاطبتهم ومجالستهم . جاء رجل إلى الإمام أحمد- رحمه الله- ومعه صبي- حسن الوجه، فقال من هذا منك؟ قال: ابن أختي، قال: لا تجئ به إلينا مرة أخرى . وقال سعيد بن المسيب رحمه الله إذا رأيتم الرجل يحد النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه.

نعم – عباد الله – النظر سهم من سهام إبليس المسمومة ، وحبائله الموبوءة ، التي أهلك بها العباد ، وصرف بها الناس عن طريق الاستقامة والفلاح ، وأوقعهم في الرذائل والموبقات والآفات ، فالنظر إلى المحرمات هو مبدأ المعصية ، وبريد الزنى .

كل الحوادث مبدأها من النظر *** ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتكت السهم بلا قوس ولا وتر

فاللهم طهر قلوبنا من النفاق .....

الخطبة الثانية

سئل الإمام أحمد- رحمه الله- عن رجل قال بأنه ترك المعاصي وتاب وقال: لو ضرب بالسياط ما دخل في معصية أبدا ، غير أنه لا يدع النظر، فقال :أي توبة هذه؟. و قيل لبعض السلف: بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك ، أسبق من نظرك إلى من نظرت إليه، و يقول الربيع: "إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك، وإذا هممت فاذكر علم الله بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فانظر إطلاعه عليك، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾. ولقد كان – رحمه الله- من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن أنه أعمى .

عباد الله : إن إطلاق البصر من أهم أسباب شيوع الفاحشة في المجتمعات ، فإنه يحرك الشهوة الكامنة في القلب ، حتى تعتصره الحسرات على الظفر بما يريد . ولقد كان السلف رضوان الله تعالى عليهم يكرهون فضول النظر . قال الإمام وكيع : خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد ، فقال : إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا غض أبصارنا .

فاتقوا الله عباد الله ، واحذروا من سخطه وأليم عقابه ، ثم اعلموا رحمكم الله ، أن تخلية البصر ، وإطلاقه من قيد الخوف والمراقبة ، حتى يقع على كل ما يراه ، فلا يرعوي عن حرام ، ولا يقف عند حد . سبب لفساد القلب والخلق ، وقائد إلى الإثم و العدوان ، فكم جرح النظر من قلب ، وأوقع في غفلة ، وأشعل نار فتنة ، ورب نظرة زرعت شهوة ساعة ، أورثت حزناً طويلاً ، وخسارة أبدية .

فيا من أنعم الله عليكم بنعمة البصر ، ثم تطلقونه في النظر إلى المحرمات ، من نساء كاسيات عاريات ، في مجلات خليعات ، وأفلام فاضحات ، وقنوات فاسدات ، تقلبون الموجات ، وتتنقلون بين الصفحات ، وتتخيرون المواقع ،تزعمون أنكم عن الأخبار تبحثون ، وعلى أوضاع المسلمين تتحسرون ، وللفراغ تقتلون ، لكنكم في الحقيقة ، بالنظر إلى النساء تتلذذون، و خطوات الشيطان تتبعون.

أهكذا تشكر نعمة الله ؟! أما يخشى الذين يصرون على اتباع الشهوات ، والنظر إلى المحرمات ، من عقوبة الله تعالى وانتقامه ؟! أما يخشون من العمى ، وطمس البصر والبصيرة ؟!

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، واشكروا الله على عظيم نعمه ، وترادف مننه ، وتذكروا لو أنكم ممن حرمها ، فما عساكم فاعلين ، فافعلوا الساعة ، ولات ساعة مندم.